فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "كيف تتلذذ بعبادتك؟"

إذا أردت أن تنجو من عذاب يوم الدين – كيف تستمر بالعبادة؟

لفضيلة الشيخ: مشاري الخراز

رابط المادة: www.way2allah.com/khotab-item-77493.htm

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

كيف تنجو من عذاب يوم الدين؟

إذا أردنا أن نتذوق حلاوة قراءة سورة الفاتحة في الصلاة فيجب أن نعرف ما هي أسرارها، لما ذكر الله تعالى يوم الدين في الفاتحة وهو يوم خوّف الله به عباده ذكر معه كيفية النجاة من هذا اليوم الصعب فقال بعد آية "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" الفاتحة: ٤ "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" الفاتحة: ٥

أي أنّه مَن أراد أن ينجو يوم القيامة فعليه أن يوحد الله تعالى في العبادة، قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: "حقَّ اللهِ على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا، وحقُّ العبادِ على اللهِ أن لا يعذبَ من لا يشرك به شيئًا" صحيح البخاري

يجب أن تستعين بالله لكي يعينك على العبادة

وإذا أردت أن تعبد الله تعالى فإنّ هذه العبادة لن توفَّق لها إلا إذا أعانك هو سبحانه فالأصل أنك لا تهتدي ولا تنجو إلا أن يثبتك الله، حتى الصحابة ما كانوا ليهتدوا لولا أنّ الله تفضل عليهم، قال الله تعالى للصحابة في سورة النور "وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ" النور: ٢١

بل أكثر من هذا حتى رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–كاد ألا يثبت لولا أن ثبته الله، قال الله تعالى في سورة الإسراء للنبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: "وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا" الإسراء: ٧٤

فمن نحن حتى نثبت على العبادة بأنفسنا؟!، يجب ألا نركن إلى أنفسنا للحصول على هذه الهداية والعبادة بل لابد أن نستغيث بالله وأن نعتمد عليه.

ولهذا كان الدعاء النبوي الذي نقوله في الصباح والمساء: "يا حيُّ يا قيُّومُ برحمتِكِ أستغيثُ، أصلِحْ لِي شأنِي كلَّهُ، ولا تكِلْنِي إلى نفسِي طرْفةَ عيْنٍ" حسنه الألباني

فإذا أردت أن تنجو من عذاب يوم الدين فعليك أن تستمر بالعبادة وإذا أردت أن تستمر بالعبادة فيجب أن تستعين بالله وإلا فلن تستمر ولهذا لاحظ جاء في الفاتحة بعد "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" الفاتحة: ٥

خذ بالأسباب واطلب العون من الله

ولكن قد يقول قائل إذا كنت أنا لا أهتدي ولن أستطيع أن أستمر بالعبادة إلا إذا جاءني العون من الله فماذا عساي أن أفعل الآن؟، الأمر ليس بيدي إنه بيد الله تعالى، نقول له اطلب من الله تعالى العون والهداية وهو سيهديك، قال الله تعالى : "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ " غافر:٦٠، لابد أن تطلب وأن تتحرك، اعمل، هل تتوقعون من رجل مرض مرضًا شديدًا وجلس في بيته ينتظر الطبيب أن يطرق عليه الباب؟! لا يمكن، يجب أن تذهب بنفسك وأن تطرق باب الطبيب وأن تطلب منه الدواء ولله المثل الأعلى إذا أردت الهداية والاستعانة فيجب أن تطلب منه ذلك وهو سيعطيك.

ترتيب عجيب لآيات سورة الفاتحة!

ولهذا لاحظ كيف أنه من الحكمة أنه جاء في الفاتحة بعد "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" الفاتحة:٥ أتت بعدها آية "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" الفاتحة:٦ تطلب منه الهداية ليعطيك فتأمل الفاتحة كيف نُسِجت على ترتيب بديع، "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" الفاتحة٤: ٥ ثم تطلب "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" الفاتحة:٦، كل آية لها ارتباط بما قبلها وبما بعدها، الآن عندما تتأملها بهذه الطريقة ستحس بطعم مختلف في الصلاة.

اهدنا الصراط المستقيم

ولهذا إذا قلت آمين في الصلاة، فأنت تؤمن على هذا الدعاء العظيم، "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ " الفاتحة:٦ ، فيجب أن تقول آمين من كل قلبك لأن الله تعالى إذا لم يهد الواحد منا إلى الصراط المستقيم يوم القيامة فإنه سيسقط منه وإذا سقط، سيسقط إلى أين؟ سنعرف إلى أين إذا عرفنا أين الصراط المستقيم يوجد أصلًا؟، الصراط هذا منصوب على ظهر جهنم كالجسر بين الجبلين فالذي يعبر من على هذا الجسر يعني الصراط يدخل إلى الجنة، والذي يسقط من الصراط يقع في جهنم والعياذ بالله تعالى.

تضرَّع إلى الله وقلبك حاضر

فإذا قلت آمين بعد الفاتحة فقلها وأنت تستشعر حاجتك لهذه النجاة، أنت محتاج لهذه النجاة، لا يراك الله تقول آمين وأنت مستغنٍ غير مهتم، سرحان، فإن استجابة الله لك في هذه الدعوة والله مهمة والله ليست هينة، إنه الصراط المستقيم أمر عظيم يوم القيامة.

بالله عليكم لو أن رجلًا حُكم عليه بالإعدام وأُتِيَ به لتنفيذ الحكم وقيل له كلّم أهل القتيل فإنهم إن عفو عنك أطلقناك وإلا أعدمناك فهل تراهم يقول لهم لو سمحتم أخبروني هل ستعفون أم لا أنا ليس لدي وقت، يعقل هذا؟ بالطبع لا، إنه سيذهب إليهم راجيًا باكيًا يطلب منهم بِحُرقة أن يعفو عنه.

كذلك في الفاتحة إذا دعوت الله أن يهديك للصراط المستقيم فلا بدّ أن تظهر لله حاجتك وأنّك فعلًا محتاج إلى العبور على هذا الصراط المستقيم.

أمّا الذي يقول آمين وهو سرحان فلن يستجاب له كما قال النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: "واعلَمُوا أنَّ اللهَ لا يستجيبُ دعاءً من قلبٍ غافِلٍ لاهٍ" حسنه الألباني

أحوال السابقين عند قراءة سورة الفاتحة

الفاتحة عظيمة ولهذا كان السابقون يبكون عندما يقرأون الفاتحة ويخشعون فيها، قال مزاحم "صلى بنا سفيان الثوري المغرب فقرأ بنا الفاتحة حتى بلغ قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" الفاتحة:٥ فبكى حتى انقطعت قراءته ثم عاد مرة أخرى فقرأ الحمد من البداية".

ليس سفيان الثوري فقط بل حتى محمد الحمصي يقول "رأيت أحمد في الحواري لما صلى في الليل بدأ بالفاتحة بدأ "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الفاتحة:٢ ، إلى أن وصل عند قوله تعالى "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" الفاتحة:٥ فإذا هو يرددها إياك نعبد وإياك نستعين، يقول فطفت البستان كله ثم رجعت فإذا هو لم يتجاوز الآية يقول فنمت ثم استيقظت وقبل الفجر فمررت به فإذا هو يقرأ "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" الفاتحة:٥ فلم يزل يرددها إلى الفجر".

وليس فقط السابقون هم الذين يستشعرون هذه السورة العظيمة بل والله أنا أعرف الكثيرين في هذا الزمان لما تأملوا هذه المعاني البديعة أصبحوا يخشعون في الفاتحة أكثر من خشوعهم في بقية السور على عكس أغلب الناس الذين يخشعون في السور الأخرى أكثر من الفاتحة.

كيف كان ركوع النبي –صلى الله عليه وسلم–؟

عمومًا إذا انتهيت من قراءة الفاتحة بخشوع اقرأ بعدها ما تيسر من القرآن ثم انتقل إلى الركن الذي فيه التعظيم وهو الركوع ولكن كيف كان يركع النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–؟، كان ركوع النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– هو أجمل ركوع، ولكي نطبّق هذا الركوع الجميل..

علينا الاهتمام بثلاثة أشياء:

أولًا: الظهر.. فلا يكن ظهرك مرتفعًا أثناء الركوع وأيضًا حاول أن ل يكون ظهرك منخفضًا بل اجعله مستويًا، فقد كان النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– يستوي ظهره أثناء الركوع يقول الصحابة "لو سكبنا على ظهره ماءً لاستقر الماء على ظهره" مبالغة في استقامة الظهر أثناء الركوع.

ثانيًا: اليد.. اجعل يدك مقبوضة على الركبة واجعل الذراع منفردة وغير مثنية.

ثالثًا: الرأس.. فقد كان النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– يجعل رأسه في مستوى الظهر فلا يرفعه ولا يخفضه وهذا بخلاف ما يفعله كثير من الناس عندما يخفضون رؤوسهم أثناء الركوع وبعضهم يرفعها للأعلى والأصل أن تكون مستوية وهذه باختصار هي كيفية ركوع النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– الذي قال لنا: "صلُّوا كما رأيتُموني أصلِّي" صحيح البخاري، –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–.

كيف يكون قلبك عند الركوع؟

هكذا يجب أن يكون جسدك أثناء الركوع لكن كيف يكون قلبك أثناء الركوع؟، هذا الركن الذي قلّ من ينتبه إليه من الخاشعين ولو تدبر الواحد منا الركوع لعرف مذاقه، سبحان الله، أغلب المصلين لا يستشعروا معاني الركوع الجميلة، أذكر مرة أنه اشتكى إلي أحد المقربين وقال أنا أخشع في كثير من أركان الصلاة لكنّي لا أُحِسّ بشيء أثناء الركوع فماذا أفعل؟ فتدارست معه معاني الركوع وكيفية الخشوع فيه، يقول صاحبي فلما عرفت كل هذه المعاني التي في الركوع وطبقتها أصبح الركوع في لساني كالحلوى اللذيذة.

مرة من المرات أيضًا ألقيت دورة في كيفية التلذذ بالصلاة ووزعنا استبيانًا بعد انتهاء الدورة فقالت إحدى الأخوات أصبحت لا أشبع من كلمة سبحان ربي العظيم، تكرر سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم، وهي تتذوق تلك المعاني فترتاح، حتى أعرف أحدهم بعد اكتشاف هذا السر في الركوع أصبح يطيل، يطيل في الركوع يطيل، فما رأيكم أن نفتح هذا السر؟

للإنسان رغبات يومية يحتاج إلى إشباعها

أولًا: يجب أن نعلم أن كل إنسان له رغبات له حاجات يومية لابدّ أن يشبعها فإذا أشبعها ارتاح وسكنت نفسه، حاجات مثل أن يكون مع أبنائه لفترة من اليوم حتى لو دخل ووجدهم نائمين فإنه يدخل إلى أبنائه في غرفتهم ويقبلهم وهم نيام، لماذا؟ لأنه محتاج أن يشبع هذه الرغبة.

من الحاجات أيضًا التي تكون في الإنسان حاجة أن يكون محبوبًا بين من حوله فيرغب كل يوم أن يسمع كلمة جميلة أن يسمع كلمة حلوة من أحد، حاجات نفسية كثيرة، حاجة أن يجلس لوحده أحيانًا، حاجة أن يكون أحد ينتظره في المنزل ويشتاق إليه، إنها حاجات لن يرتاح الواحد منا إلا إذا أشبع هذه الحاجات ولربما يجد نفسه يومًا من الأيام متوتر، متضايق، متضايق لأتفه الأسباب ويغضب بسرعة ولا يدري لماذا؟

السبب يا أخي الكريم: أنك لم تشبع حاجة من تلك الحاجات.

العبادة هي أعظم حاجة تحتاج إلى إشباعها

طيب، أتدري ما هي أعظم حاجة عندك أتدري ما هي أكبر رغبة في روحك، إنها حاجة العبادة، أنت تحتاج في كل يوم أن تشبع من عبادة إلهك فكما أن لكل إنسان رغبة في أن يُعز نفسه بمنزل أو سلطان فإنّ له رغبة أيضًا أن يتذلل لأحد يحبه، يحتاج أن يتذلل ولو كان من كان، حتى لو كان هذا الإنسان عظيم أو شريف أو كبير بين الناس فإنه في النهاية يحتاج إلى هذا التذلل.

ولمّا كان الناس يأنفون من التذلل لبعضهم البعض صرفوا حاجة العبادة هذه إلى ما حولهم من المخلوقات، فصاروا يعبدون أي شيء ليشبعوا هذه الحاجة عبدوا مخلوقات وأحجار حتى أعزكم الله بهائم فقط ليشبعوا هذه الحاجة؛ حاجة العبادة، طيب ما علاقة هذا بالركوع؟، كيف؟

الركوع فيه عبادة شديدة لأنه عزيز على النفس البشرية

الركوع فيه عبادة شديدة، العرب كانت تأنف من الركوع، يقول حكيم بن حزام –رضي الله عنه– "بايعت النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم– على أن لا أخرّ إلا قائمًا"، يعني أن يسجد من غير ركوع لما في الركوع من تذلل شديد فأراد حكيم بن حزام أن لا يركع، وهذا في بداية إسلامه ثم تغير بعد ذلك أكيد يعني.

الشاهد أنّ الركوع فيه عبادة شديدة، ولهذا إذا ركعت فأشبع نفسك تمامًا من العبودية لله، أشبعها حتى ترتوي أنت في الركوع إذا استشعرت شيئًا من هذا لاشك أنه سيصبح للركوع طعم آخر.

استشعر حلاوة "سبحان ربي الأعلى"

وسبحان ربي، لاحظ كلمة ربي، الله هو الذي رباني، رباني أحسن تربية لا تشابهها أي تربية أخرى، انظر كيف أن البعض يدافع عن من يحب، وعن من رباه، فأنت تقول سبحان ربي، تدافع عن ربك، يعني تسبيح معناه تنزيه الله عز وجل عن مالا يليق به، تُنزهه عن مالا يستحقه، هذا ربي لا أرضى عليه أن يمسّه أحد بكلمة ولا بلفظة، سبحان ربي ما أرضى أن يعصيك أحد، في كل يوم تسبح تقول سبحان ربي.

والربّ هو السيد المطاع الرازق المتكفل كما أنّ للأسرة متكفلًا يحضر حاجاتها يسمى ربّ الأسرة فأنت ربي، أنت ربي تتكفل بي لتعطيني حاجاتي وآمالي، الحاجات التي سأذكرها لك بعد قليل في السجود

أشبع نفسك من رغبة العبودية لله

أنت ربي، فحاول أن تشبع هذه الرغبة، رغبة العبودية قدر المستطاع، لن يشبع منها أحد مع أي شيء آخر ومع أي إله آخر إلا مع الله عز وجل، ولن يرتوي أحد من هذه الحاجة تمامًا إلا في هذه الصلاة التي هي حقًا عبادة ولهذا كان الصالحون يطيلون هذا الركن شديدًا لأنهم كانوا يعرفون حلاوته، كان النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– يقرأ في قيامه ما يقارب الخمسة أجزاء ثم يركع ركوعًا مدته قريبة من مدة القيام، سبحان الله!.

وعن مسلم المكي قال: "ركع ابن الزبير يومًا ركعة فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه من الركوع"، الله أكبر!

اللهم ارزقنا لذة العبادة وحلاوة الركوع، اللهم اجعلنا من أهل العلم والسعادة، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهاب، اللهم آمين والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36